

البداية والنهاية

ويركب هو في جمهور الجيش إلى مصر وقد خاف منه الملك صلاح الدين خوفا شديدا فلما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة ركب إلى الميدان الأخضر القبلي وصلى فيه صلاة عيد الفطر وكان ذلك نهار الأحد ورمى العتق في الميدان الأخضر الشمالي والقدر يقول له هذا آخر أعيادك ومد في ذلك اليوم سماطا حافلا وأمر بانتهابه وطهر ولده الملك الصالح إسماعيل في هذا اليوم وزينت له البلد وضربت البشائر للعيد والختان ثم ركب في يوم الإثنين وأكب على العادة ثم لعب بالكرة في ذلك اليوم فحصل له غيظ من بعض الأمراء ولم يكن ذلك من سجنه فبادر إلى القلعة وهو كذلك في غاية الغضب وانزعج ودخل في حيز سوء المزاج واشتغل بنفسه وأوجاعه وتنكرت عليه جميع حواسه وطباعه واحتبس أسبوعا عن الناس والناس في شغل عنه بما هم فيه من اللعب والإنشراح في الزينة التي نصبوها لأجل طهور ولده فهذا يجود بروحه وهذا يجود بموجوده سرورا بذلك فانعكست تلك الأفراح بالأتراح ونسخ الجد ذلك المزاج وحصلت للملك خوانيق في حلقه منعه من النطق وهذا شأن أوجاع الحلق وكان قد أشير عليه بالفصد فلم يقبل وبالمبادرة إلى المعالجة فلم يفعل وكان أمره قدرا مقدورا فلما كان يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال من هذه السنة قبض إلى رحمة الله تعالى عن ثمان وخمسين سنة مكث منها في الملك ثمان وعشرين سنة C وصلى عليه بجامع القلعة بدمشق ثم حول إلى تربته التي أنشأها للحنفية بين باب الخواصين وباب الخيميين على الدرب وقبره بها يزار ويحلق بشباكه ويطيب ويتبرك به كل مار فيقول قبر نور الدين الشهيد لما حصل له في حلقه من الخوانيق وكذا كان يقال لابنه الشهيد ويلقب بالقسيم وكانت الفرنج تقول له القسيم ابن القسيم وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة قد أوردها أبو شامة وما أحسن ما قاله العماد ... عجبت من الموت لما أتى ... إلى ملك في سجاية ملك ... وكيف ثوى الفلك المستد ... ير في الأرض وسط فلك ... وقال حسان الشاعر الملقب بالعرقلة في مدرسة نور الدين لما دفن بها C تعالى ... ومدرسة ستدرس كل شيء ... وتبقى في حمى علم ونسك ... تضع ذكرها شرقا وغربا ... بنور الدين محمود بن زنكى ... يقول وقوله حق وصدق ... بغير كناية وبغير شك ... دمشق في المدائن بيت ملكي ... وهذي في المدارس بنت ملكي

صفة نور الدين C تعالى .

كان طويل القامة أسمر اللون حلو العينين واسع الجبين حسن الصورة تركي الشكل ليس له لحية إلا في حنكه مهيبا متواضعا عليه جلاله ونور يعظم الإسلام وقواعد الدين ويعظم الشرع